

المكتبة الخضرَاء للأطفال

٤٥

# الصيداء المسكين والماء اللوين



رسم  
صلاح بيهار

دار المعارف

تأليف  
يعقوب الشاروني



المكتبة الخضراء للأطفال

٤٥

# الصيداء المسكين والماء اللعين

تأليف  
يعقوب الشاروني



رسوم  
صلاح بيصار



دار المعارف



يُحْكِي أَنَّ صَيَّادًا ، اسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، كَانَ يَعْتَمِدُ فِي رِزْقِهِ عَلَى صَيْدِ أَسْمَاكِ  
الْبَحْرِ . كَانَ عَبْدُ اللَّهِ فَقِيرًا جَدًّا ، لَا يَكْسِبُ إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِي يَحْفَظُ حَيَاتَهُ وَحَيَاةَ  
زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ الثَّلَاثَةِ .

فِي كُلِّ صَبَاحٍ ، يَخْرُجُ حَامِلًا مَعَهُ شَبَكَتَهُ الثَّقِيلَةَ . وَلَمْ يَكُنْ يَرْمِي الشَّبَكَةَ إِلَّا أَرْبَعَ  
مَرَّاتٍ فَقَطْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَقَدْ كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ ، أَصَابَهُ سُوءُ الْحَظِّ .

كَانَ يَقُولُ : «لَنْ تُسَاعِدَنِي صِبْحَتِي عَلَى أَنْ أَجْذِبَ هَذِهِ الشَّبَكَةَ الثَّقِيلَةَ أَكْثَرَ مِنْ  
أَرْبَعِ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ ، وَإِذَا لَمْ يَخْرُجْ سَمَكٌ فِي أَرْبَعِ مَرَّاتٍ ، فَلَنْ يَخْرُجَ سَمَكٌ بَعْدَ  
ذَلِكَ» .

وإذا اصطاد شيئاً ، يحمل ما منحه الله من رزق ، ويبعّه في السوق ، لينفق ثمنه في شراء احتياجات زوجته وأبنائه الثلاثة ، سامع وسمعان وسعدية .

وإذا أصابه سوء الحظ ، ولم يصطد شيئاً ، يطوى شبكته ، ويحملها فوق ظهره ، ويعود فارغ اليدين إلى أسرته ، لا يجد ما يشتري به طعام عشايتهم .

\*\*\*

وفي تلك الأيام التي يلازمه فيها حظُّه السيئ ، كان يتجنب السير أمام دكان جاره بائع الخبز ، فقد كان يخجل من كرم ذلك الجار .



لكن ذلك الجار ، ما إن يلمح عبد الله يقترب من دكانه ، حتى ينادي في ود :  
«فرج الله قريباً !!»

عندئذ لم يكن في استطاعة عبد الله أن يخفي نفسه عن جاره ، فيقف في مكانه ، يخشى أن يرد تلك التحية المرحّة ، لأن الكلمات ستخرج من فيه باكية مهمومة .

عندئذ يفهم الجار أن سوء الحظ كان رفيق الصياد في ذلك اليوم ، فيسرع إليه حاملاً « قفة » صغيرة ، ملأته بأرغفة الخبز ، وهو يقول له : «خذ هذه لأولادك» .







بل كان يضع أحياناً بعض النقود في يد عبد الله ، وهو يقول له : « وهذا قرصٌ صغيرٌ ، يُمكن أن تردّه عندما تستطيع » .

\*\*\*

لكن عبد الله لم يستطع أن يرد شيئاً ، لأن الصيد كان شحيحاً وقليلًا ، لا يكفي في كل مرة إلا لطعام يوم واحد حتى في الأيام التي يُحالفه فيها حظُّه الحسن .

وذات مساءً ، وجد عبد الله نفسه يقول لجاره الخباز : « خذ شبكتي ، وفاءً لبعض ديوني »

لكن الخباز ردّ في استنكار : « وهل أحرمك من مصدر رزقك ورزق عيالك يا رجل ؟ أنا واثق أنه سيأتي يومٌ تردّ لي فيه أضعاف ما أقرضتك من مالٍ ، فالله لا يترك أبدًا عبادة الصالحين » .

\*\*\*

ذات يوم ، ذهب عبد الله إلى شاطئ البحر كعادته ، مبكرًا قبل طلوع الشمس ، ورمى شبكته في الماء . وعندما أخذ يجذبها ، وجدها ثقيلةً ، فظن أنه حصل على صيدٍ ثمين .

لكنه عندما جذب الشبكة ، كانت مُمتلئة بالأصداف وأعشاب البحر ! رمى الصياد الشبكة في البحر مرة أخرى ، وانتظر . وعندما بدأ في جذبها ، لم يجد الأمر سهلاً ، فتجدد أمله في صيدٍ عظيم .

لكن عندما أصبحت الشبكة على الشاطئ ، لم يجد بها إلا سلّة مملوءة بالأحجار والطين والرمل ، ولم يكن بها ولا حتى سمكة واحدة صغيرة !!



وارتمى الصياد على الشاطئ يلهث من التعب ويصيح : « بعد كل هذا التعب ، لا أجد إلا هذا ؟ لكن ... لا بأس .. لن أتوقف عن المحاولة » .  
ثم رمى الشبكة وهو يقول ، في محاولة لزرع التفاؤل في نفسه :  
« الرمية الثالثة محظوظة » .

وفي هذه المرة ، وجد الشبكة ثقيلة جداً .  
فرح الصياد ، وأخذ يجذب الشبكة ، وهو يتشبث بأحجار الشاطئ حتى لا يسقط .  
لكنه عندما أخرجه ، بعد محاولات مستميتة ، وجد بها جثة حصان ميت !!

هنا بدأ اليأس يتسلل إلى نفس الرجل ، وخاف أن يعود إلى أولاده فارغ اليدين .

\*\*\*

وعندما نظر إلى الأفق ، لاحظ  
أن أنوار الفجر بدأت تنتشر ،  
فترك شبكته ، وقام يؤدي  
الصلاة .

انتهى الصياد من صلاته ،  
ورمى شبكته للمرة الرابعة  
والأخيرة .

ومرة أخرى ، عندما جذبها ،



لم تُسَعِفْهُ قُوَّتُهُ لِإِخْرَاجِهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَأَخَذَ يُحَاوِلُ ، وَيَحَاوِلُ ،  
حَتَّى أَخْرَجَهَا إِلَى الشَّاطِئِ . وَإِذَا بِهِ يَجْدُ بِدَاخِلِهَا جَرَّةً نُحَاسِيَّةً كَبِيرَةً  
وَثَقِيلَةً!!

وَعِنْدَمَا فَحَصَهَا ، وَجَدَ عَلَيْهَا غِطَاءً مُغْلَقًا بِأَحْكَامٍ ، وَمَخْتُومًا بِالرِّصَاصِ .  
فَكَّرَ قَائِلًا : «عَلَى الْأَقْلَ ، أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبِيعَ نُحَاسَ الْجَرَّةِ لِصَانِعِ النُّحَاسِ ...  
وَقَلِيلٌ خَيْرٌ مِنْ لَا شَيْءٍ ...»

هَزَّ الْجَرَّةَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتَ شَيْءٍ بِدَاخِلِهَا . فَأَمْسَكَ بِسَكِينِهِ ، وَأَزَالَ  
الرِّصَاصَ ، وَفَتَحَ الْغِطَاءَ . ثُمَّ نَظَرَ دَاخِلَهَا ، فَلَمْ يَرَ شَيْئًا .  
وَكَانَ الصَّيَّادُ مُوشِكًا عَلَى أَنْ يُعِيدَ الْغِطَاءَ إِلَى مَكَانِهِ ، عِنْدَمَا رَأَى شَيْئًا كَأَنَّهُ  
عَمُودٌ كَثِيفٌ مِنَ الدُّخَانِ ، يَخْرُجُ مِنَ الْجَرَّةِ .

\*\*\*

وَأَزْدَادَ الدُّخَانُ كَثَافَةً وَهُوَ يَرْتَفِعُ بِسُرْعَةٍ ، ثُمَّ تَجَمَّعَ فِي كُتْلَةٍ عَظِيمَةٍ ،  
خَرَجَ مِنْ وَسْطِهَا مَارِدٌ عِمْلَاقٌ ، وَقَفَ بِجَسَمِهِ الْهَائِلِ أَمَامَ الصَّيَّادِ ،  
ثُمَّ صَاحَ فِيهِ :

« اِرْكَعْ عَلَى رُكْبَتَيْكَ ... سَوْفَ أَقْتُلُكَ . »

سَأَلَهُ الصَّيَّادُ فِي خَوْفٍ شَدِيدٍ :

« لِمَاذَا تَقْتُلْنِي ؟ ! لَقَدْ أَطْلَقْتُ سَرَاحَكَ مِنَ الْجَرَّةِ الَّتِي كُنْتُ

مَحْبُوسًا فِيهَا ! »

أَجَابَ الْجَنِيُّ : « هَذَا هُوَ السَّبَبُ الَّذِي يَذْفَعُنِي





إلى قَتْلِكَ .

لَكِنْ لِأَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي ، سَأَجِيبُكَ إِلَى طَلَبٍ وَاحِدٍ قَبْلَ مَوْتِكَ . مَاذَا تَتَمَنَّى قَبْلَ

أَنْ تُغَادِرَ هَذِهِ الدُّنْيَا ؟ »

أَجَابَ الصَّيَّادُ الْمَسْكِينُ وَهُوَ يَرْتَجِفُ رُعْبًا : « يَجِبُ أَنْ أَفَكِّرَ قَبْلَ أَنْ  
أُجِيبَكَ . » فَقَدْ أَرَادَ الصَّيَّادُ أَنْ يُتِيحَ لِنَفْسِهِ وَقْتًُا يَفَكِّرُ فِيهِ ، لِذَلِكَ رَأَى أَنْ يَشْغَلَ  
الْجَنِّيَّ بِشَيْءٍ .

قَالَ لِنَفْسِهِ : « كُلُّ النَّاسِ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ . فَإِذَا طَلَبْتُ  
مِنْ هَذَا الْجَنِّيِّ أَنْ يُحَدِّثَنِي عَنْ نَفْسِهِ ، فَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِدَ حِيلَةً  
لِلْخُلَاصِ مِنْهُ . »

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْجَنِّيِّ ، وَقَالَ لَهُ فِي  
كَلِمَاتٍ مُتَلَعِثِمَةٍ : « إِلَى أَنْ أَسْتَقِرَّ  
عَلَى مَا أَتَمَنَّاهُ قَبْلَ أَنْ أَغَادِرَ الدُّنْيَا ،  
أَرْجُو أَنْ تُخْبِرَنِي ، كَيْفَ أَصْبَحْتَ  
سَجِينًا دَاخِلَ هَذِهِ الْجُرَّةِ . »

قَالَ الْجَنِّيُّ : « الْقِصَّةُ طَوِيلَةٌ ،  
وَمَعَ هَذَا سَأَقْصُصُهَا عَلَيْكَ . كُنْتُ  
وَاحِدًا مِنْ جُنُودِ النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ ،  
الْحَكِيمِ الْعَظِيمِ ، لَكِنِّي خَالَفْتُ  
أَمْرَهُ ذَاتَ مَرَّةٍ ، فغَضِبَ مِنِّي غَضَبًا  
شَدِيدًا ، وَ« عَاقَبَنِي بِحَبْسِي فِي  
هَذِهِ الْجُرَّةِ ، وَأَغْلَقَهَا جِدًّا حَتَّى لَا  
أَتِمَكَّنَ مِنَ الْخُرُوجِ ، ثُمَّ أَلْقَى بِهَا فِي  
الْبَحْرِ . »

« وَعِنْدَ ذَلِكَ عَاهَدْتُ نَفْسِي ، أَنْ





مَنْ يُطْلِقُ سَرَّاحِي خِلَالَ الْمِائَةِ عَامٍ الْأَوَّلَى مِنْ بَقَائِي فِي قَاعِ الْبَحْرِ ، سَأَجْعَلُهُ فِي غَايَةِ الثَّرَاءِ .

«لَكِنْ مَضَتِ الْمِائَةُ عَامٌ ، وَلَمْ يُطْلِقْ سَرَّاحِي أَحَدٌ . فَوَعَدْتُ ، خِلَالَ الْمِائَةِ عَامِ الثَّانِيَةِ ، أَنْ أُعْطِيَ مِنْ يُنْقِذُنِي مِنْ سِجْنِي ، أَعْظَمَ كَنْوَزِ الْأَرْضِ ، فَلَمْ يَخْضُرْ أَحَدٌ لِإِخْرَاجِي مِنْ سِجْنِي الضَّيِّقِ .»

«وَفِي الْمِائَةِ عَامِ الثَّالِثَةِ ، عَاهَدْتُ نَفْسِي أَنْ مَنْ يُخْرِجُنِي مِنْ تِلْكَ الْجُرَّةِ الْمُشْتُومَةِ ، سَأَجْعَلُهُ مَلِكًا عَلَى أَكْبَرِ بِلَادِ الدُّنْيَا ، لَكِنْ لَمْ يُخْرِجْنِي أَحَدٌ مِنْ سِجْنِي الْفَظِيعِ تَحْتَ مَاءِ الْبَحْرِ .»

«وَمَضَتْ مِائَةُ عَامٍ رَابِعَةً ، تَعَهَّدْتُ خِلَالَهَا أَنْ أَنْقِذَ لِمَنْ يُنْقِذُنِي ثَلَاثَ رَغَبَاتِ كُلِّ يَوْمٍ ، لَكِنْ لَمْ يُنْقِذْنِي أَحَدٌ .»

«عِنْدَئِذٍ أَصَابَنِي غَضَبٌ شَدِيدٌ ، فَأَقْسَمْتُ أَنْ مَنْ يُطْلِقُ سَرَّاحِي بَعْدَ ذَلِكَ ، سَوْفَ أَقْتُلُهُ !!»



« وَالْآنَ ، وَقَدْ أَطْلَقْتَ أَنْتَ سِرَاحِي ، يَجِبُ أَنْ تَمُوتَ . أَخْبِرْنِي بِسُرْعَةٍ عَنْ  
طَلَبِكَ الْآخِرِ . »

\*\*\*

قَالَ الصَّيَّادُ لِنَفْسِهِ : « هَذَا الْمَارِدُ دَفَعَهُ غَيْظُهُ فِي الْمَرَّةِ الْخَامِسَةِ ، إِلَى قَتْلِ مَنْ  
يُنْقِذُهُ.. لِمَاذَا لَمْ يَصْبِرْ إِلَى الْمَرَّةِ السَّادِسَةِ أَوِ السَّابِعَةِ ؟ »

ثُمَّ تَذَكَّرَ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ لَا يَرْمِي شَبَكَتَهُ إِلَّا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ ، فَهَمَسَ لِنَفْسِهِ :  
« إِذَا أَنْقَذَنِي اللَّهُ مِنْ هَذَا الْعَفْرِيتِ الْمَجْنُونِ ، سَأُظِلُّ أَحَاوِلُ أَيْ عِدَدٍ مِنَ الْمَرَّاتِ  
كُلِّ يَوْمٍ ، إِلَى أَنْ يَرْزُقَنِي اللَّهُ شَيْئًا يَنْفَعُ أُسْرَتِي . »

وَهُنَا أَفَاقَ مِنْ أَفْكَارِهِ عَلَى صَبِيحَةِ الْمَارِدِ ، يَسْأَلُهُ عَنْ طَلَبِهِ الْآخِرِ قَبْلَ أَنْ  
يَقْضَى عَلَيْهِ .

لَكِنِ الصَّيَّادُ الْبَائِسَ لَمْ يَكُنْ ، إِلَى تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، قَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى مَا يَخْتَارُهُ قَبْلَ أَنْ  
يَمُوتَ ، فَأَصْبَحَ مُضْطَرِبًا شَارِدَ الذَّهْنِ ، لَا يَسْتَطِيعُ التَّفَكُّيرَ فِي شَيْءٍ إِلَّا الْخَطَرَ  
الشَّدِيدَ الَّذِي يَهْدِدُ حَيَاتَهُ ، خَاصَّةً وَقَدْ شَاهَدَ سَكِينًا كَبِيرًا فِي يَدِ الْمَارِدِ الْجَبَّارِ .

تَوَسَّلَ الصَّيَّادُ إِلَى الْجِنِّيِّ قَائِلًا : « ارْحَمْنِي ، فَأَنَا لَمْ أُخْطِئْ فِي حَقِّكَ . إِنْ لِي  
زَوْجَةٌ وَأَطْفَالٌ بِالْمَنْزِلِ ، مَاذَا يَفْعَلُونَ إِذَا مِتُّ ؟ ! »

قَالَ الْجِنِّيُّ : « لَا يَهْمُنِي هَذَا ، أَخْبِرْنِي بِسُرْعَةٍ عَنْ رَغْبَتِكَ الْآخِرَةِ . »  
وَفَجْأَةً ، خَطَرَتْ لَصَيَّادِ السَّمَكِ فِكْرَةٌ غَرِيبَةٌ ، فَاسْرَعَ يَقُولُ :

« لِي طَلَبٌ وَاحِدٌ ، إِذَا نَفَذْتَهُ سَأَمُوتُ رَاضِيًا . أَنَا لَا أَصْذُقُ أَنَّ جِنِّيًّا  
طَوِيلًا وَضَخْمًا مِثْلَكَ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذِهِ الْجُرَّةِ الصَّغِيرَةِ ... إِنَّهَا





لا تُسَعُ حتى لأصبع واحدٍ من أصابع  
قَدَمِكَ . أريد أن أرى كيف تستطيعُ  
الدخولَ فيها . »

غَضِبَ الْجِنِّيُّ وَقَالَ : « لَقَدْ رَأَيْتَنِي  
بَعَيْنِكَ أَخْرَجُ مِنَ الْجُرَّةِ . أَقْسَمُ أَنِّي  
كُنْتُ بِدَاخِلِهَا لِعِدَّةٍ مِائَاتٍ مِنَ  
السَّنَوَاتِ ... لَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِذَلِكَ ...  
أَلَا تَصَدِّقُنِي ؟! »

تَشَجَّعَ صَيَادُ السَّمَكِ ، وَقَالَ فِي  
إِضْرَارٍ : « لَا ... لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ  
أَصَدِّقَكَ . أريد أن أرى بنفسِي ...  
هَذَا هُوَ طَلْبِي الْأَخِيرُ ... »

عِنْدَئِذٍ تَحَوَّلَ الْجِنِّيُّ مَرَّةً أُخْرَى  
إِلَى سَحَابَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الدُّخَانِ ،  
تَعَلَّقَتْ فِي الْهَوَاءِ ، بَيْنَمَا هَبَطَ أَحَدُ  
طَرَفَيْهَا إِلَى الْأَرْضِ .

وَبَدَأَتْ السَّحَابَةُ تَدْخُلُ ببطءٍ  
دَاخِلَ الْجُرَّةِ .

وَأَخِيرًا ، صَفَّتِ السَّمَاءُ ، وَاخْتَفَى



آخرُ جزءٍ من السَّحابةِ ...

وبسرعةٍ فائقةٍ ، وضعَ الصيادُ الغطاءَ النُّحاسيَّ فوقَ فوهةِ الجرةِ ، وأغلقها  
بإحكامٍ .

وهكذا حبَسَ الجِنِّيُّ بداخلها مرةً أُخرى .

ثم أمسكَ الصيادُ بالجرةِ ، وبكلِّ قوتهِ ، قذفَ بها في الماءِ .

\*\*\*

قال الصيادُ لنفسِهِ ، وهو ينفضُ يَدَيْهِ ، كأنه تَخَلَّصَ من حِمْلٍ ثَقِيلٍ مُزعِجٍ :

« أيها الجِنِّيُّ النَّاكِرُ للجميلِ .. أَمَّا مَكَ الْآنَ آلاَفُ أُخْرَى مِنَ السِّنِّ ، تَسْتَطِيعُ  
خِلَالَهَا أَنْ تَتَوَعَّدَ سَكَانَ الْعَالَمِ أَجْمَعِينَ بِالْفَنَاءِ ، إِذَا مَدَّ إِلَيْكَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ  
بِالْمُسَاعَدَةِ !! »

ولأوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ ، يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَهُوَ يَحْمِلُ شَبَكَتَهُ الْفَارِغَةَ .

\*\*\*

وعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ يُغْنَى ، وَهُوَ يَهْمِسُ إِلَى نَفْسِهِ :

« كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَكْثَرَ شَيْءٍ يُسَبِّبُ لِي السَّعَادَةَ ، أَنْ تَمْتَلِئَ شَبَكَتِي  
بِالْأَسْمَاكِ . أَمَّا الْآنَ ، فَأَعْرِفُ أَنَّ أَكْثَرَ مَا يُسَبِّبُ لِي السَّعَادَةَ ، هُوَ أَنْتَنِي لَا زِلْتُ  
عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ، أَتَمَتَّعُ بِالصَّحَةِ الَّتِي تَجْعَلُنِي أَتَحَمَّلُ أَلَمَ الْجُوعِ ، وَمَشَقَّةَ الْعَمَلِ ،  
وَمَتَاعَ سُوءِ الْحَظِّ !! »

\*\*\*

وَفِي الطَّرِيقِ ، سَمِعَ مُنَادِيًا يُذِيعُ رِسَالَةً مِنْ عِنْدِ السُّلْطَانِ . كَانَ الْمُنَادِي





يقول: « ضاع عقد السلطنة . من يجده أو يدل على السارق ، له مكافأة ألف دينار ».

لكن عبد الله لم يتنبه إلى عبارات النداء ، فقد كان مشغولاً بالمفاجأة التي قلبت حياته رأساً على عقب .

وفوجئت زوجته به يدخل البيت ضاحكاً يغنى ، فامتلت بالأمل ، وصاحت ترحب به : « من المؤكد أنك اصطدت اليوم ما يكفينا أسبوعاً أو أسبوعين ! »

\*\*\*

لكن عبد الله أجابها بنفس المرح : « لا أحمل اليوم أية أسماك ، لكنني لا زلت أحمل روحي !! »

ولم تفهم الزوجة معنى عبارة زوجها . واجتمع حولهما الأبناء يستمعون إلى الأب ، وهو يحكى لهم أعجب قصة يمكن أن ينسجها الخيال ، ويحاول إقناعهم بما حدث له مع ذلك الجنى ، الذى قابل معروفه بالإساءة ، ومساعدته بالجحود .

قالت سعدية ، وكانت أصغر الأبناء : « لو كنت معك ، لكان آخر ما أطلبه ، أن أتحدى ذلك الجنى الأحمق ، فى مباراة للعبة الشطرنج » .

ضحك أخوها سمعان وقال : « لم يكن الشطرنج معروفًا أيام النبي سليمان ! » وعادت سعدية تقول : « إذن مباراة لنطّ الحبل ، وأشترط عليه أننى إذا غلبته ، فإن عليه أن يطيع ما أمره به ! »

نظر عبد الله إلى ابنته الصغيرة فى دهشة وهو يقول : « هل تظنين أننى كنت أعب مع زميلة لك فى الحارة أمام البيت ؟ أقول لك إنه كان عملاقًا طوله طول النخلة ! »

وفى إصرار قالت الصغيرة : « الكبار يظنون دائمًا أنهم قادرون على كل شيء ، وأنا نحن الصغار لا شيء !! ثم لا تنس يا أبى أنه كان « مقررًا » داخل الجرة مئات السنين ، فتبيست عضلاته ، بينما يحتاج نطّ الحبل إلى تدريب مستمر . من المؤكد أنه كان سيقبل التحدى ، ومن المؤكد أننى كنت سأغلب عليه ! »

\*\*\*

ووجدت الأم أن حديث ابنتها مُسلّ طريف ، وكانت قد اعتادت أن تسمع منها مثل هذه الاقتراحات والأفكار ، التى لا تخطر أبدًا على بال الكبار ، فقالت ضاحكة :





« وما الذى كنت ستأمرين الجنى أن يقوم به يا سعدية ، إذا تفوّقت عليه فى الشطرنج ، أو فى نطّ الحبل الذى تتحدثين عنه ؟ »  
وبسرعة قالت الصبية المتوقّدة الذكاء : « أطلبُ منه أن يُصبحَ صديقى ، مثلَ الجنى الذى خرجَ من مصباحِ علاء الدين ! »  
وضحك كلُّ أفرادِ العائلةِ فى مَرَحٍ ، وهم يحمّدون اللهَ على عودةِ الأبِ سالمًا ، بعد تلك المغامرة التى كادت تذهبُ بحياته .

\*\*\*

لكنَّ عبدَ الله لم يستطع نسيانَ حديثِ ابنته .  
وعندما ذهبَ لينامَ تلك الليلة ، خاضمه النومُ .  
كان يُحدّثُ نفسه قائلاً :





« هؤلاء الصغار لديهم خيال خصب ، يواجهون به أصعب المواقف بأبسط الحلول ! لقد كنت أفكر فقط في إعادة ذلك الجنى الأحمق إلى سجنه ، ونسيت أنه كان يحدثنى تحت تأثير المرارة والغضب الشديدين ، نتيجة حبسه منفرداً تلك السنوات الطويلة » .

« أما ابنتى ، فقد فكرت بطريقة مختلفة . لقد فكرت فى طريقة لترويض ذلك المخلوق الهائل الحجم ، القليل العقل ، لتستفيد من قدراته الخارقة ، بدلاً من إعادته فى الجرة إلى البحر ، وفقد فرصة لا تأتى إلى الإنسان إلا مرة واحدة فى عمره ، هذا إذا حدث وجاءت !! »

\*\*\*

لذلك لم يكن غريباً ، مع طلوع الفجر ، أن يتسلل عبد الله من بيته ، وقد حمل شبكته فوق ظهره .

كان يقول لنفسه : « أنا أعرف المكان الذى ألقى فيه الجرة ، بعد أن أغلقته على الجنى .. لقد أعطيته درساً لن ينساه جزاء نكرانه الجميل ، وأعتقد أنه لن يعود مرة أخرى إلى سوء أدبه ! »

ولدهشته الشديدة ، فإنه ما إن ألقى شبكته فى المكان الذى قذف إليه بالجرة ، حتى عرف أنها قد اصطادت شيئاً ثقيلاً جداً . وعندما أفلح فى جذبها ، كم كانت فرحته عندما وجد بداخلها نفس الجرة النحاسية !!

قال لنفسه : « ها هو حظى الطيب قد بدأ يتسم لى ، بعد أن عبس طويلاً ! »

\*\*\*

وتردد عبد الله وهو يتأمل الغطاء الذى أحكم إغلاقه منذ ساعات .. كان

يُدرِكُ أنه مُقدِّمٌ على مغامرةٍ شديدةٍ الخطرِ .

ورأى أن يتصرَّفَ بالطريقةِ التي فكرتُ بها ابنتُهُ الصغيرةُ ، فاقترَبَ بفمِهِ ناحيةَ فوهةِ الجِرةِ . وصاحَ بصَوْتٍ شديدِ الارتفاعِ ، كأنه يصرخُ : « أيها الجنى .. هل تسمَعُنِي ؟ ! »

وفي هذهِ المرةِ ، سمعَ هديرًا من داخلِ الجِرةِ ، كأنه صوتُ أمواجِ بحرٍ هائجٍ ! وتشجَّعَ عبدُ اللهِ ، وعادَ يصرخُ : « هل تعلَّمتَ أنه يجبُ أن تُحسِنَ إلى مَنْ يُحسِنُ إليك ؟ ! »

\*\*\*

وفي هذهِ المرةِ ، تغيَّرَ صوتُ هديرِ البحرِ الغاضِبِ من داخلِ الجِرةِ ، حتى أصبحَ كأنه صَوْتُ أمواجٍ تُصافِحُ رمالَ الشاطئِ في ودٍّ وترحيبٍ .

قالَ عبدُ اللهِ لنفسِهِ : « لقد زالتْ لهجةُ الغضبِ ، وحلَّتْ محلُّها لغةُ السلامِ » .  
لذلكَ عادَ يصرخُ : « أريدُ دليلًا على توبتِكَ ، قبل أن أنزعَ غطاءَ الجِرةِ ، لأُطلقَ سراحَكَ مرةً ثانيةً » .

وعادَ الهديرُ يتماوجُ من داخلِ الجِرةِ ، يرتفعُ ثم ينخفضُ ، كأنه يحاولُ أن يعبرَ عن بعضِ الكلماتِ . وبصعوبةٍ استطاعَ عبدُ اللهِ أن يفهمَ عبارةً تقولُ :  
« ألقِ شبكتَكَ » .

قالَ عبدُ اللهِ لنفسِهِ : « قد يكونُ كلُّ هذا الذي سمعتهُ من داخلِ الجِرةِ وهما من الأوهامِ ، لكنَّ ، ما الضررُ في أن أُجربَ ؟ »

وسرعانَ ما ألقى عبدُ اللهِ شبكتَهُ في الماءِ ، وهو لا يتوقَّعُ أن يجدَ فيها شيئًا .





كَانَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « يَبْدُو أَنَّنِي بَدَأْتُ أَتَمَتَّعُ بِخِيَالٍ وَاسِعٍ مِثْلَ خِيَالِ ابْنَتِي الصَّغِيرَةِ !! »

لَكِنَّهُ عِنْدَمَا بَدَأَ فِي جَذْبِ الشَّبَكَةِ ، تَعَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فِي الْبَدَايَةِ ، لِثِقَلِهَا .  
لَكِنْ مَا إِنْ بَدَأَتْ تَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ ، حَتَّى رَأَى دَاخِلَ خِيوطِهَا مَا أَثَارَ حَيْرَتَهُ ..  
لَمْ تَكُنْ بِهَا أَسْمَاكَ وَلَا أَصْدَافٌ وَلَا صَنْدُوقُ كَنْوَزٍ ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ نَفَايَاتِ الْبَحْرِ .. بَلْ كَانَ بِهَا « رَجُلٌ » ، ظَهَرَ رَأْسُهُ خَارِجَ الْمَاءِ دَاخِلَ خِيوطِ الشَّبَكَةِ ، وَقَدْ أَخْرَجَ ذِرَاعِيَهُ مِنْ فَتْحَاتِهَا .

شَعَرَ عَبْدُ اللَّهِ بِالرَّعْبِ ، وَصَاحَ : « إِنَّهُ يُحَرِّكُ ذِرَاعِيَهُ .. هَذِهِ لَيْسَتْ جِثَّةُ رَجُلٍ مَيِّتٍ ... كَيْفَ يَخْرُجُ إِنْسَانٌ حَيٌّ مِنْ تَحْتِ الْمَاءِ ؟ ! »  
وَأَلْقَى بِحِبَالِ الشَّبَكَةِ ، وَانْدَفَعَ يَجْرِي هَارِبًا ، وَهُوَ يَهْمِسُ لِنَفْسِهِ : « أَنْجُو مِنْ مَصِيبَةٍ ، أَقْعُ فِي مَصِيبَةٍ أَكْبَرَ مِنْهَا !! »

\*\*\*

لَكِنَّهُ تَوَقَّفَ فَجَاءَةً ...

لَقَدْ سَمِعَ ضَحْكَةً مَرِحَةً صَافِيَةً ، أَعَقَبَهَا صَوْتُ يَقُولُ فِي لَهْجَةٍ هَادِئَةٍ :  
« لِمَاذَا تَخَافُ أَيُّهَا الصِّيَّادُ ؟ أَنَا إِنْسَانٌ مِثْلُكَ ! »

وَاطْمَأَنَّ قَلْبُ عَبْدِ اللَّهِ قَلِيلًا ، فَالْتَفَتَ يَتَأَمَّلُ ذَلِكَ الْخَلْقَ الَّذِي أَخْرَجَتْهُ الشَّبَكَةُ .

قَالَ لَهُ الرَّجُلُ الْخَارِجُ مِنَ الْبَحْرِ : « لِمَاذَا لَا تَنْزِعُ مِنْ حَوْلِي حِبَالَ هَذِهِ الشَّبَكَةِ ؟ »  
قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي تَرَدُّدٍ : « لَقَدْ عَانَيْتُ مِنْ سُكَّانِ الْبَحْرِ ، مَا يَجْعَلُنِي أَرَاغِعُ نَفْسِي أَلْفَ مَرَّةٍ ، قَبْلَ أَنْ أُطْلِقَ سَرَاخَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ! »



ثم أخذ عبدُ الله يحكى ، فى انفعالٍ شديدٍ ، وفى عباراتٍ متقطعةٍ

مختصرةٍ ، حكايته مع جنى الجرة .  
وعندما انتهى ، قال له الرجلُ الذى  
فى الشبكة :

« الجنى الذى فى الجرة قد أجابَ فجرَ  
اليوم عن أسئلتك بلغةِ البحرِ ، وهو  
صادقٌ فيما فهمتهُ منه . لقد هدأ غضبهُ  
وتحرَّرَ من قَسَمِهِ . البحرُ عندما يهدأ هديرُ  
أمواجهِ الغاضبةِ ، فمعنى هذا أنه يعرضُ  
الأمنَ والسلامَ . ولكي تُصدِّقه ، أرشدك  
فاصطادتنى شبكتك ، أو أوقعنى فى حبالِ  
شبكتك ، لأكون سببَ خيرٍ كثيرٍ لك » .  
وتوقَّفَ لحظةً ، ثم سأل :

« ما اسمك ؟ »

أجابهُ الصيَّادُ : « اسمى عبدُ الله » .

فى فرحةٍ قالَ رجلُ البحرِ : « وأنا  
أيضاً اسمى عبدُ الله .. عبدُ الله البحرى .  
فأنا من أبناءِ البحرِ ، وكلُّ أهلى يعيشون

فيه . هيا نتعاهدُ على الصداقةِ . وفى مثلِ هذهِ الساعةِ من كلِّ يومٍ ،  
نتقابلُ هنا ، فأعطيك ما تشاءُ من ثرواتِ البحرِ ، مثلِ اللؤلؤِ  
والمرجانِ وتعطينى من ثرواتِ الأرضِ ما لا نجدُهُ عندنا فى



قاع البحر ، مثل الفاكهة والخضراوات .

\*\*\*

هنا تعالى الهديرُ ثانيةً من داخلِ الجرة . كأنما لِيذكرَ عبدَ اللهِ بالجنَى

الذى بداخلها ، فقالَ عبدُ اللهِ البحرى : « هيا أخرجنى

من حبالِ هذه الشبْكة ، لتأكّدَ من صدقِ





ما حاول الجنى إبلاغه إليك .

ومع أن عبد الله البرى ظل مُتردِّدا قَلْبًا ، فقد أخرج عبد الله  
البحرى من الشبكة .

وتقدّم البحرى يُعاقب البرى ، ويشكره فى حرارة ، لأنه وثق  
فى كلامه .



هنا تأكد عبد الله البري أن عبد الله البحري شخص صادق وأمين ،  
وأن الجنى لم يخدعه هذه المرة ، فاتجه إلى الجرة ، وبدأ فى فتح غطائها  
النحاسي .

وفى هدوء ، انساب منها الدخان الكثيف ، ثم ارتفع إلى عنان السماء ... وظل  
يرتفع ويرتفع ، إلى أن غاب وسط سحب أبيض كثيف .

قال الصياد لنفسه : « ها هو الجنى قد اختار أن يختفى من حياتي ، لكننى أرجو  
أن يظل يعاوننى ، عن طريق عبد الله البحري ، كما سبق وعاون الجنى علاء  
الدين !! » .

\*\*\*

وعاد عبد الله البحري يقول لعبد الله البري : « لا تنس .. سنلتقى هنا فى نفس  
هذا الوقت كل يوم .. لكن يجب أن يظل اتفاقنا هذا سراً بيننا ، لا يعرف به أحد  
غيرنا . ولكى يطمئن قلبك ، انتظرنى هنا قليلاً » .

ووقف عبد الله البري صامتاً ، يراقب عبد الله البحري وهو يغوص فى الماء .  
لم يكن يصدق أنه سيراة ثانية .

لكن الماء انشق بعد قليل ، وظهر منه عبد الله البحري ، وهو  
يحمل وعاء مصنوعاً من أعشاب  
البحر ، أعطاه لعبد الله الصياد .

\*\*\*

وظن الصياد أنه يحلم ، فلم ينطق  
بحرف ، مع أنه وجد نفسه يحمل



الوعاء ، الذى وجدته ثقيلًا جدًا .

وظلَّ الصيادُ يراقبُ عبدَ الله وهو يعودُ إلى الماءِ ، وينختفى تحتَهُ .  
عندئذِ تنبّه ، وكأنه أفاقَ من حلمٍ ، وفتحَ الوعاءَ ، فلم يصدّقْ عينيه .

ولكى يتأكّدَ مما يرى ، دسَّ أصابعَهُ بينِ كُومِ اللؤلؤِ

والمرجانِ الذى امتلأَ به الوعاءُ .

وتوقّفَ عقلُهُ عن

التفكيرِ ، وقد أصبحَ كأنه

تمثالٌ جامدٌ لا روحَ فيه !!

وأخيرًا ، استجمعَ

بعضَ شتاتِ تفكيرِهِ ،

وجمعَ شبكتَهُ ،

ولفّها حولَ الوعاءِ

المصنوعِ من نباتاتِ البحرِ ، واستدارَ ليعودَ إلى بيته ، وهو لا يكادُ  
يرى طريقَهُ ..

لقد أصبحَ كمنْ يسيرُ أثناءَ نومه .. أو كأنه فى حلم !!

\*\*\*

وفى طريقِهِ ، مرَّ على صديقِهِ الخُبَّازِ ، فوجدَهُ قد أعدَّ له كيسًا فيه بعضُ

الخُبزِ ، مثلما اعتادَ أن يفعلَ فى أيامِ كَثِيرَةٍ .

لكنَّ عبدَ الله ، فى ذلكَ اليومِ ، مدَّ يدهُ ، لا ليأخذَ الخُبزَ ، بل ليعيدَ كيسَ الخُبزِ

بما فيه إلى صاحِبِهِ ، وهو يقولُ له فى لهجةٍ غريبةٍ :



«بل أنا الذى سأردُّ إليك اليومَ بعضَ ديونك !!»

وظنَّ الحَبَّازُ أنه لم يسمعَ جيداً عبارةَ الصيادِ ، وظلَّ يحاولُ فهمَ معناها ، وهو يُراقِبُ عبدَ الله الصيَّادَ يَفْرُدُ شَبَكَتَهُ ، ويفتَحُ من داخلِها الوعاءَ المصنوعَ من أعشابِ البحرِ ، الذى كان قد أخذَهُ من عبدِ الله البحرى .

ثم يراقِبُهُ وهو يدسُّ يَدَهُ فى الوعاءِ ، ويملاً قبضَتَهُ من محتوياتِهِ ، ويضعُ بين يَدَيِ الحَبَّازِ عددًا كبيرًا من حَبَّاتِ اللؤلؤِ وقِطَعِ المَرْجانِ !!

\*\*\*

هنا فقط بدأ الحَبَّازُ يفهمُ شيئًا مما قالَهُ الصيَّادُ ، لكنه مع ذلك لم يصدِّقْ عَيْنِيهِ !!

وعندما فهمَ ، صاحَ : « قُلْتُ لك مرارًا ، إن اللهَ سيعطيكَ أضعافَ ما تَتمَنَّى . »  
قالَ عبدُ الله وهو يُشيرُ إلى ثروةِ اللآلئِ التى وضعَهَا بين يَدَيِ الحَبَّازِ : « خُذْهَا ..  
أنتَ تستطيعُ بَيْعَهَا » .

وبدلاً من كيسِ الخَبَرِ ، وضعَ الحَبَّازُ بين يَدَيِ عبدِ الله الصيَّادِ ، كيسَ نقودِهِ  
كلَّهُ !!

وبعدَ ساعاتٍ ، عادَ عبدُ الله الصيَّادُ إلى بيتِهِ ، يحملُ كمَّياتٍ كبيرةً من الطعامِ والفاكهةِ والحلوى ، لزوجتِهِ وأبنائِهِ سامعَ وسمعانَ ، والصغيرةِ  
سعديةِ الذكيةِ !!

\*\*\*

وفى اليومِ التالى ، فى الموعدِ المُتَّفَقِ عليه ، انطلقَ عبدُ الله البرىُّ إلى لقاءِ صديقِهِ



البحرى . وقد حملَ معه « قُفَّة » كبيرة ، حافلة بأشهى أنواعِ الفاكهة ، من عنبٍ وتينٍ ورُمَّانٍ ، مع كمياتٍ من الخضراواتِ الطازجة .

وعندَ شاطئِ البحرِ ، وجدَ عبدُ اللهِ البحرى فى انتظارِهِ ، فقالَ له وهو يُعطيه القفَّة : « أرجو أن أكون قد وُقِّتُ فى إحضارِ بعضِ ما يتعذَّرُ عليكم أن تجدوه تحتَ الماءِ » .

أجابَهُ عبدُ اللهِ البحرى : « لم أكن أتوقَّعُ أن تحافظَ على وعدِكَ وميعادِكَ بهذه الدقة ، فقد سمعتُ أن كثيراً من أهلِ الأرضِ لا يحافظون على وعدٍ ولا على ميعادٍ » .

ثم نزلَ تحتَ الماءِ ، وعادَ بعدَ قليلٍ ومعه القفَّةُ قد امتلأتْ باللالئِ الثمينةِ .

\*\*\*

واستمرَّ الحالُ على هذا النحوِ . ففى كلِّ يومٍ ، يحملُ عبدُ اللهِ البرىُّ من المدينةِ قفَّةً مملأةً بالفاكهةِ ، ويعودُ بها مملأةً باللالئِ ، التى يحفظُ معظمها فى بيته ، ويُعطى بعضها لصديقه الخبازِ .

\*\*\*

وشئناً فشيئاً ، استطاعَ عبدُ اللهِ البرىُّ أن يرتفعَ بمستوى معيشةِ أسرتهِ ، فارتدوا ملابسَ أفضلَ ، والتحقَّتْ سعديةُ الذكيةُ بالمدرسةِ ، وامتلاَ البيتُ بأثاثٍ جديدٍ ، بعد أن قاموا بطلاءِ البيتِ وتجديدهِ . كما استطاعتْ سعديةُ الذكيةُ أن تُقيمَ لنفسِها مكتبةً ازدحمتْ بالكتبِ ، فى أحدِ أركانِ غرفةٍ خصَّصوها لها ، بعد أن كانتْ حائرةً بين غرفةِ أبويها ، وغرفةِ أخويها .



وعندئذ وجد عبد الله البري أنه يستطيع الذهاب بنفسه لبيع بعض ما عنده من لآلئ ، بدلاً من تسليمها إلى الخباز لبيعها له .

وهكذا اختار لؤلؤة كبيرة ، جميلة ، كاملة الاستدارة ، وذهب بها في الصباح الباكر إلى كبير تجار الجواهر والأحجار النفيسة ، والذي يعرفونه بلقب «شهنذر التجار» ، وعرضها عليه .

وكان الشهنذر مشهوراً بالكر ، فسأل عبد الله ، وهو يتأمل اللؤلؤة بإعجاب شديد حاول أن يكتمه : « هل عندك لآلئ أخرى مثل هذه ؟ »

وبحسن نية ، ظن عبد الله أن الشهنذر ينوي أن يشتري منه كل ما لديه ، فقال في ثقة : « عندي الكثير والحمد لله » .

\*\*\*

عندئذ قال الشهنذر ، وهو يتظاهر بأنه يُعيد اللؤلؤة إلى عبد الله ، كأنها لا يهتم بالحصول عليها : « لن أدفع في هذه اللؤلؤة أكثر من مائة دينار » .

قال عبد الله : « بارك الله لك فيها » .

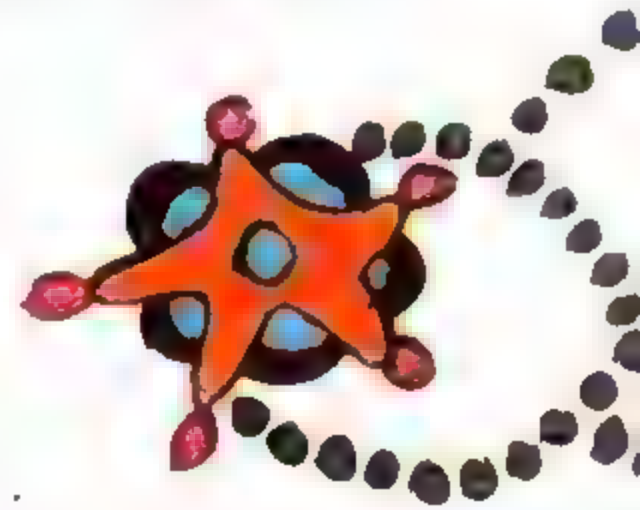
عندئذ همس شيخ التجار لنفسه : « هذا رجل لا يعرف قيمة ما يبيع ، ولا بد أن أكشف حقيقة أمره » .



وفوجئ عبدُ الله بشهيندر التجارِ يتخلى عن تحفظه وتبسطه،  
وينقضُّ عليه فيُمسِكُه بقوةٍ من ملابسه، وقد ظهرت على وجهه  
ملامحُ القسوةِ والعدوانِ .

ثم قفزَ واقفاً على قدميه، وأشارَ في عنفٍ إلى عماله وهو يصيحُ :  
« اقبضوا على هذا الرجل ! »

وسرعانَ ما أحاطَ ثلاثةُ رجالٍ أشداءَ بعبدِ  
اللهِ ، أمسكوا به ، وشلُّوا حركتهُ ، بينما عبدُ الله  
يصيحُ في دهشةٍ : « أنتم مُخطئون .. أنا رجلٌ شريفٌ ..  
ماذا فعلتُ لتقبضوا علىَّ ؟ ! » لكن أحداً لم يضعِ إلى  
صيحاته .



ثم أرسلَ الشهيندر رئيسَ عماله إلى القصرِ  
السلطانيّ ، ومعه رسالةٌ يقولُ فيها :

« مولاي .. لقد استطعتُ الإمساكَ باللصِّ الذي سرقَ عقدَ مولانا السلطانةِ ،  
فقد جاءني يبيعُ لؤلؤةً منه » .

وسرعانَ ما وجدَ عبدُ الله نفسه مُقيّداً بالسلاسلِ ، يقوده الرجالُ  
إلى القصرِ .

وهناك أجبروه على الركوعِ أمامَ عرشِ السلطانِ .

هنا همسَ عبدُ الله الصيادُ إلى نفسه ، وقد ملأه الهمُّ والغمُّ : « ها هو  
الحلمُ ، قد تحولَ إلى كابوسٍ ! »

\*\*\*

وتأملُ السلطانُ اللؤلؤةَ التي سلّمها إليه شيخُ التجارِ ، فتعجبَ من كبرِ حجمها





وجمال شكلها ، ثم أرسلها إلى السلطانة مع رسالة يقول فيها :  
«لكي تتأكدي أن حول السلطان رجالاً أمناء مُخلصين ، أرسلُ إليك إحدى  
لآلي عقدكِ المسروق» .

\*\*\*

وفوجئ شهنذر التجار بما فعله السلطان ، فهمسَ لنفسه في استياءٍ حاول أن  
يُداريه :

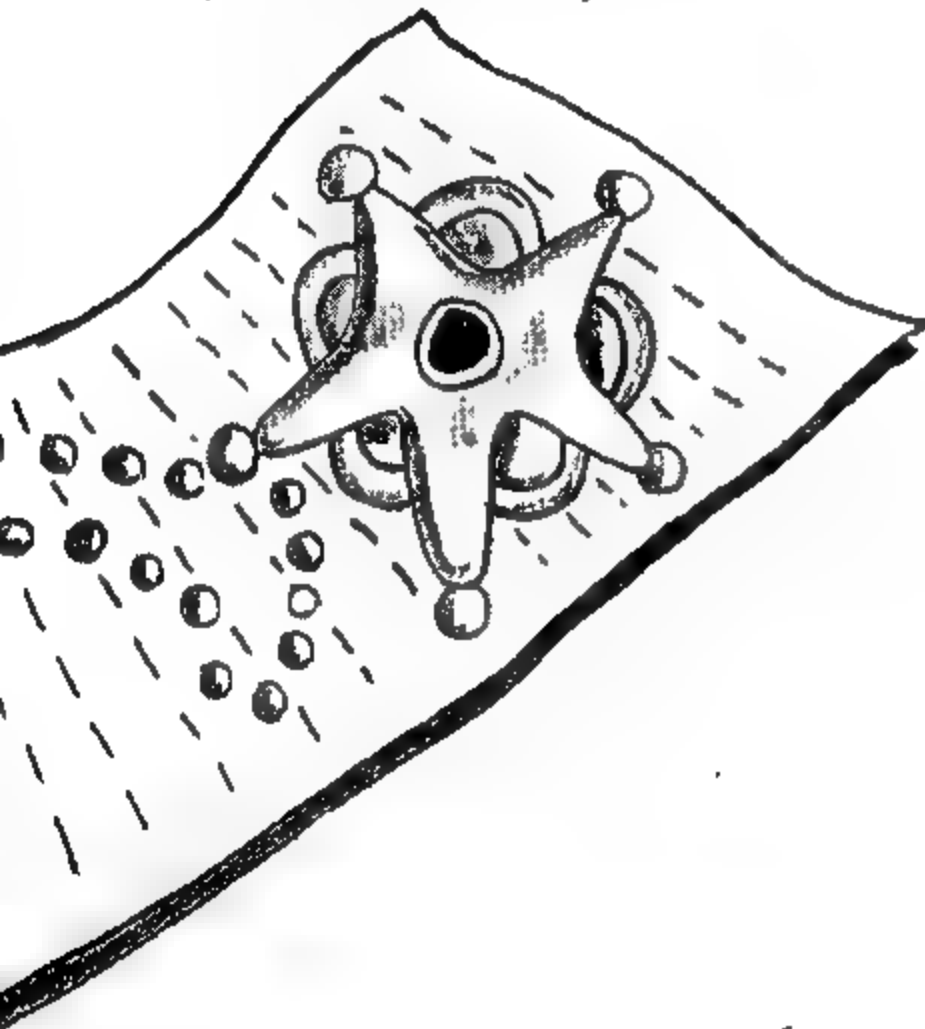
« لماذا يجعلُ هذا السلطانُ للنساءِ دوراً في شئونِ المال ؟ كان الأفضلُ أن يأمرَ  
فوراً بقتل هذا الصيادِ الساذجِ بتهمةِ السرقة ، ثم يصادرُ كلَّ ما عنده من لآلي ،  
أستطيع أن أبيعها بعدئذٍ بربحٍ كبيرٍ لحسابِ السلطان !!  
وازداد غيظُ الشهنذر ، عندما أعادتِ السلطانة اللؤلؤة إلى زوجها السلطان ،  
مع رسالة تقولُ فيها :

« لقد تأكدتُ أن هذه اللؤلؤة أكبرُ وأجملُ من كلِّ حباتِ العقدِ الذي  
سُرِقَ ، وهو هديتك لي يوم الزفاف ، والذي قلتُ لي عنه إنه يضمُّ أكبرَ حباتِ  
اللؤلؤ التي عرفها البشر !! »  
وفهم السلطانُ عتابَ زوجته ، فسأل عبد الله : « من أين أتيتَ بهذه اللؤلؤة ،  
وأنت صيادٌ فقيرٌ ؟ »

وفي سرعةٍ دارتْ أفكارٌ كثيرةٌ في خاطرِ عبدِ الله .. فلا بدَّ أن يحرصَ على  
كتمانِ سرِّ علاقتهِ بعبدِ الله البحريِّ ، تنفيذاً للوعدِ الذي قطعهُ على نفسه .  
وفي نفسِ الوقتِ ، لا بدَّ أن يكشفَ كلَّ أسرارِ ما يُخفيه في بيته ، لأنه واثقٌ أن  
رجالَ السلطانِ سرعانَ ما سيقومون بتفتيشِ كلِّ ركنٍ من أركانِ منزله .  
لذلك أجابَ السلطانُ قائلاً :

« اللؤلؤ من خيرات البحر يا مولاي ، والبحر هو مكان عملي ، أنا وأجدادي وأبنائي . وقد رزقني الله من فضله بعدد كبير من أمثال هذه اللؤلؤة ، كلها عندي في البيت » .

وانتهز شهندر التجار الفرصة ، ليشير غضب السلطان على عبد الله ، فاندفع قائلاً : « لم يسبق لأحد أن استطاع العثور وحده على عدد كبير من اللآلئ في مثل هذا الحجم الكبير والجمال البديع ! اعترافه هذا دليل على صحة الاتهام .. يستحيل أن يحصل على هذه اللآلئ بطريق شريف ! »



في تلك اللحظة ، دخل قاعة العرش رسول من عند السلطانة وقال :

« السلطانة تقول إنها قد وجدت العقد المفقود يا مولاي . كانت قد وضعت في جيب ثوب لها ، ثم نسيت أمر ذلك الثوب ، فلم تتذكر أن ترتديه ثانية » .

ثم توقف رسول السلطانة لحظة ، ليستأنف حديثه في صوت واضح النبرات : « وجلالتها السلطانية تقول : لم يعد هناك محل لأن نظلم أحداً ، ونتهمه بسرقة العقد . كما طلبت أن أبلغ جلالتك أن اللؤلؤة أعجبت بها ، وترغب في شرائها ، لأنها لم تسمع من قبل بوجود مثل لها » .

\*\*\*

وعندما سمع السلطان رسالة زوجته ، زادت دهشته وتعجبه .

وصاح في شهندر التجار :

« إذا كانت جلالتها لم تسمع من قبل بوجود مثلها ، فلا يمكن أن يسرق إنسان شيئاً لم يكن موجوداً من قبل . وكان الأولى بك يا شيخ تجار الجواهر ، أن تعرف ذلك ، وتنبهني إليه ، بدل أن تأتي لتتهم هذا الرجل بغير ذنب ارتكبه . لقد أردت إيذاء هذا الرجل الصادق ، الذي رزقه الله بما لم يسبق أن رزق غيره به » .

ثم التفت السلطان إلى عبد الله وقال : « هل أستطيع رؤية ما لديك من لآلى أخرى؟ »

قال عبد الله : « بيتي متواضع يا مولاي ، لكنه سيزداد شرفاً بزيارة عظميتكم . إن ما عندي من لآلى شيء كثير ، قد يستغرق نقله إلى هنا وقتاً طويلاً » .

وكان في استطاعة السلطان أن يأمر بنقل كل ما عند عبد الله إلى القصر ، لكن حب الاستطلاع دفعه إلى الموافقة على زيارة البيت المتواضع لذلك الصياد ، لعله يعرف بعض أسرار الحياة ، ويتأمل حكمة الله عز وجل ، عندما يختار جل جلالته أحد عباده الصالحين ، من بين الناس أجمعين ، لينعم عليه بمثل هذه الثروة الطائلة .

\*\*\*

وذهب السلطان مع عبد الله ، ورأى اللآلى والمرجان المكّس في بيته الصغير ، الذي أصبح بيتاً جميلاً نظيفاً مريحاً ، فكاد يفقد عقله من شدة الدهشة .

لقد وقف السلطان أمام أكوام تلك الثروة الطائلة الثمينة وهو يقول :

« سبحان الله الرزاق الوهاب .. يُعطى مَنْ يشاء بغير حساب .. »





ثم التفت إلى عبد الله وقال له :

«لكنَّ وجودَ كلِّ هذا الكنز الكبير في بيتك ، خطرٌ على حياتك وحياة أولادك . أقترحُ عليك أن تنتقلَ أنت وأسرُك وكلُّ ما تملكُ إلى قصرى ، حيث أجعلُك من رجالى الذين أَسْتَشِيرُهُم وأستمعُ إلى آرائهم .

فَمَنْ أعطاهُ اللهُ كلَّ هذا الخيرِ ، لا شكَّ في أنه رجلٌ صالحٌ ، يراعى اللهَ وضميرَهُ في كلِّ ما يقومُ به من أعمالٍ وأقوالٍ» .

وهكذا انتقلَ عبدُ الله البرىُّ مع أسرته وكلِّ ما لديه من لآلى ومرجانٍ ، إلى جناحٍ فى القصرِ السلطانى .

وأعلنَ السلطانُ أنه عيَّنَ عبدَ الله مُستشاراً له ، وخصَّصَ له غرفةً تُجاوِرُ قاعةَ العرشِ السلطانى .

\*\*\*

وهكذا بدأ ذلك النهارُ بتهمةٍ باطلةٍ ، كانَ يُمكنُ أن تقضىَ على حياةِ عبدِ الله البرىِّ ، وانتهى بأن أصبحَ عبدُ الله أكثرَ المُقَرَّبِينَ إلى السلطانِ .

\*\*\*

لكنَّ هذا الانقلابَ الكبيرَ السريعَ فى حياةِ عبدِ الله الصيادِ ، لم يُنْسِه موعِدُهُ اليومىُّ ، الذى كانَ يُريدُ أن يطيرَ إليه ، لينقلَ إلى صديقِهِ عبدِ الله البحرىُّ ، أخبارَ ما هيأهُ اللهُ له من حظٍّ طيبٍ .

واستمعَ البحرىُّ إلى أخبارِ البرىِّ المُثيرةِ ، ثم فاجأهُ قائلاً :

« إنك رأيتَ اليومَ عظمةَ بيتِ سلطانِكُم وجمالَهُ ، وأتمنى أن تزورنا فى البحرِ ، لترى نوعاً آخرَ من الجمالِ والعظمةِ .. إنها عظمةٌ وجمالٌ ما خلقَ اللهُ تحتَ ماءِ البحرِ » .

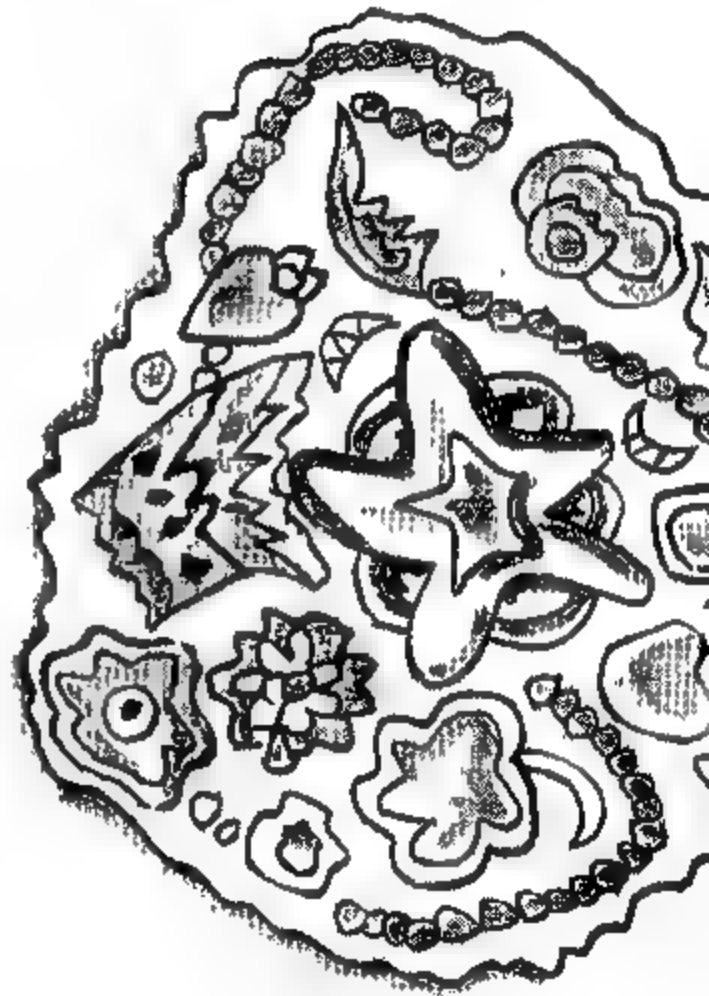
قال عبد الله البريُّ ، وقد تذكَّرَ أولَ مرةٍ شاهدَ فيها عبدَ اللهِ البحرى يخرجُ  
من الماءِ : « لكنك تعرفُ أننى من أبناءِ البرِّ ، الذين يتعذَّرُ عليهم العيشُ مثلكم تحتَ  
الماءِ ! »

ضحكَ عبدُ اللهِ البحرى وقالَ : « هذا صحيحٌ يا أخى .. لكننى سمعتُ أن  
بعضَ العلماءِ عندكم ، فى طريقهم إلى اختراعِ أداةٍ أو جهازٍ ، يقومُ بما تقومُ به  
الخياشيمُ للأسماكِ ، يستخلصُ الهواءَ اللازمَ للتنفسِ من ماءِ البحرِ نفسه . »

أجابَهُ عبدُ اللهِ البرى ضاحكاً : « إذن  
فموعدُ زيارتى لكم ، نحدِّدُهُ عندما يتحقَّقُ  
اختراعُ هذا الجهازِ !

\*\*\*

أجابَهُ عبدُ اللهِ البحرى قائلاً : « ما دُمتَ  
مَعى ، فأنتَ لستَ فى حاجةٍ إلى أىِّ اختراعٍ .  
سأعطيكَ دهاناً تدهنُ به جسمَكَ ، فتستطيعُ أن  
تبقى تحتَ الماءِ بغيرِ أن يُصيبَكَ سوءٌ . وهذا  
الدهانُ نستخرجُهُ من كبدِ حيوانٍ بحرى نادرٍ  
اسمُهُ « الدندان » ، وهو أقوى مخلوقاتِ البحرِ  
وأخطرُها علينا . »



« ومع أنه من الحيوانات البحرية وليس من الأسماك ، يتنفسُ الهواءَ الجوى  
ويلدُ صغارَهُ ويرضعُها مثلَ الحيتانِ وسباعِ وعجولِ البحرِ ، فإنه ، بفضلِ هذا  
الدهانِ الذى يفرزُهُ جلدهُ فيغطى جسمهُ ، يستطيعُ البقاءَ أياماً تحتَ الماءِ ، لأنه



يستخلصُ به الهواءُ اللازمُ للحياةِ من ماءِ البحرِ ، ويتنفسُ بجلدهِ مثلَ بعضِ أنواعِ الضفادعِ !!» « لكنه يخافُ الإنسانَ جدًّا ، لأنَّ رائحةَ الإنسانِ تقتلهُ ، لذلكِ يتعَدُّ عن « أَى أرضٍ بها بشرٌ . ولهذا لا أعتقدُ أن إنسانًا قد شاهدَ ذلك المخلوقَ شديداً الخطرِ علينا».

\*\*\*

ومع شدةِ رغبةِ عبدِ اللهِ البرِّىِّ فى القيامِ بتلكِ المغامرةِ تحتَ الماءِ ، فى صحبةِ صديقِهِ عبدِ اللهِ البحرِىِّ ، فقد انتظرَ أيامًا ، إلى أن وجدَ مُناسبةً ليستأذنَ السلطانَ .

قالَ عبدُ اللهِ البرِّىُّ للسلطانِ : « لقد نشأتُ أعملُ فى البحرِ يا مولاي . وأرجو أن تأذنَ لى أن أقومَ برحلةٍ بحريةٍ ، أستعيدُ فيها ذكرياتِ أيامى مع البحرِ » .

وبعدَ أن حصلَ على إذنِ السلطانِ ، دهنَ عبدُ اللهِ البرِّىُّ جسمَهُ بالدهانِ الذى أحضرَهُ له عبدُ اللهِ البحرِىُّ ، ثم نزلَ معه إلى البحرِ .

ومشى عبدُ اللهِ البرِّىُّ تحتَ الماءِ فوقَ القاعِ ، كأنه يمشى على سطحِ اليابسِ ، وقد اتخذَ من عبدِ اللهِ البحرِىِّ دليلَهُ ، الذى يقودهُ بين غاباتِ وحدائقِ قاعِ البحرِ الرائعةِ ، المختلفةِ الألوانِ والأشكالِ ، ووسطَ صُخورِ المَرْجَانِ وشعابِهِ الجميلةِ ، تحيطُ بهما أسماكٌ غريبةٌ وعجيبةٌ ، لم يسبقُ لعبدِ اللهِ البرِّىِّ أن رأى مثلَها ، مع طولِ ما عملَ بالصَّيْدِ ، وكثرةِ ما اصطادَ من أسماكٍ .

\*\*\*

وفجأةً ، وفيما هما يقتربانِ من المدينةِ البحريةِ ، التى يعيشُ فيها عبدُ اللهِ البحرِىُّ مع أسرتهِ ، سمعَ الصديقانِ ضجَّةً عاليةً ، واضطربَ ماءُ البحرِ حولَهما



اضطراباً شديداً ، وأسرعت الأسماك تهربُ مُبتعدةً ، والنباتاتُ تتمايلُ في عنفٍ  
كأنها ستتخطَّمُ .

وأمسكَ عبدُ الله البحرىُ بذراعِ صديقه البرى ، يوقفهُ بغيرِ حركةٍ ، وهو يقولُ  
في قلقٍ شديدٍ :

« هذه علاماتٌ تؤكدُ أن جماعةً كبيرةً من عدونا الدندانِ ، تتجمعُ لتقومَ  
بغارةٍ علينا . لكن يبدو أنها شمَّت رائحتك ، فأسرعتُ تحاولُ الهربَ

والابتعاد خوفاً من الموت . إن الحظَّ الحسنَ يُرافقكَ حيثما تسيرُ ، واليوم نفوزُ منه بنصيبٍ وافرٍ كبيرٍ . »

وقبل أن يتمَّ عبدُ اللهِ البحرىُّ كلامَهُ ، اشتدَّ اضطرابُ الماءِ ، وظهرَ حيوانٌ عجيبُ الشكلِ ، يدورُ حولَ نفسهِ فى جنونٍ . ثم انقلبَ على ظهرِهِ ، وسكَّتْ حركتُهُ ، وبعدها غاصَ بغيرِ حركةٍ إلى القاعِ .

همسَ عبدُ اللهِ البحرىُّ : « هذا واحدٌ من وحوشِ الدندان ، قتلتهُ رائحتك ، قبل أن ينجحَ فى الهجومِ على مدينتنا . »

ثم حدثَ نفسُ الشىءِ مع حيوانٍ ثانٍ وثالثٍ ورابعٍ .. يدورُ الواحدُ منها حولَ نفسهِ ، ثم ينقلبُ على ظهرِهِ ، وتكفُّ حركتُهُ ، ثم يغوصُ ليرمى ميتاً فوقَ القاعِ ، وقد قتلتهُ رائحةُ إنسانِ البرِّ !!

\*\*\*

وشاعَ النبأُ فى مملكةِ البحرِ كُلِّها ، فخرجَ أهلُها جميعُهُم يستقبلونَ مُنقِذَهُم ، البطلَ عبدَ اللهِ البرِّ ، بالترحيبِ والحبِّ .

\*\*\*

وأَمْضى عبدُ اللهِ البرِّ أربعينَ يوماً فى ضيافةِ صديقِهِ عبدِ اللهِ البحرىِّ ، يُشاهدُ فى كلِّ يومٍ من المخلوقاتِ والنباتاتِ ما لم يتصوَّرُ أن يرى مثلهُ فى الشكلِ أو اللونِ ، أو أساليبِ الحركةِ ، أو الاختباءِ من الأعداءِ .

كان يقولُ : « العالمُ تحتَ الماءِ عجيبٌ غريبٌ ، لم يكتشفِ الإنسانُ من أسرارِهِ إلا أقلَّ القليلِ . إنه عالمٌ يختلفُ كثيراً عن العالمِ فوقَ سطحِ اليابسِ ، ويمتلىءُ بأنواعٍ أكثرَ بكثيرٍ مما يصادفُهُ الإنسانُ خارجَ الماءِ . كما أنها تختلفُ عن مخلوقاتِ اليابسِ فى تنوعِها ، وأشكالِها ، وطُرقِ تكاثرِها ، وأساليبِ حصولِها على الغذاءِ ، وكيفيةِ



\*\*\*

وكان لابد أن يأتي اليوم الذي يقول فيه عبدُ الله البريُّ لصديقه البحريُّ :  
« مع إعجابي الشديد بهذا العالم المدهش المثير الذي تعيشون فيه تحت الماء ،  
فقد اشتقتُ إلى أهلي . كما أن السلطان سيُصيبه القلقُ إذا تأخرتُ بعد اليوم عن  
العودة إلى عملي » .

وكان وداعُ أهل البحر لعبدِ الله البريِّ مؤثراً ، فقد نشأت بينهم وبينه صداقاتٌ  
قوية جميلة .

وبدأت رحلة العودة إلى الشاطئ ، وعبدُ الله البحريُّ يقودُ صديقه البريُّ ،  
والبريُّ لا يكفُّ عن إلقاء الأسئلة حول الجديد الذي يراه في الماء ،  
والبحريُّ لا يكفُّ عن إلقاء مزيدٍ من الإجابات والمعلومات ، التي ظلت تُثير دهشة  
البريِّ وحيрته .

\*\*\*

وفيما هما في طريقهما للخروج  
من الماء ، وجدا جمعا كبيرا من أهل  
البحر ، قد تجمعوا في احتفالٍ عظيم ،  
فقال عبدُ الله البريُّ متسائلاً :  
« بماذا يحتفلون ؟ »

أجاب عبدُ الله البحريُّ : « هذا





احتفالٌ يدعونا الواجبُ ألا نتخلفَ عن المشاركة فيه . لقد توفى كثيرٌ من أهل  
البحر ، والتقاليدُ هنا تقضى بتوديع الميت بالفرح والسرور .

وفي دهشةٍ بالغةٍ سأله البريُّ : «مثلما تستقبلون المولودَ  
الجديد؟!»

قال البحريُّ : « بل على العكس .. نحن نستقبلُ المولودَ الجديدَ بالحزنِ





والبكاء ، لكثرة ما سُعَانِيهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ أَلَمٍ وَمَشَقَّاتٍ .

تَعَجَّبَ عَبْدُ اللَّهِ الْبَرِّيُّ ، وَقَالَ فِي اسْتِنكَارٍ : « تَقَالِيدُنَا عَكْسُ هَذَا تَمَامًا ، فَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ الْمَوْلُودَ الْجَدِيدَ بِالْفَرَحِ وَالتَّرْحِيبِ ، لِأَنَّ الْعَائِلَةَ زَادَتْ فَرْدًا . وَنُودِّعُ الْمُتَوَفَّى بِالْحُزْنِ وَالبِكَاءِ ، لِأَنَّا فَقَدْنَا عَزِيزًا عَلَيْنَا » .

هنا ظهر الغضب الشديد على عبد الله البحرى ، وقال : « لست أفهم





كيف تحزنون وأنتم ذاهبون إلى رحابِ الله عزَّ وجلَّ !! »

\*\*\*

وبعد أن انتهى الاحتفال ، أكمل عبدُ الله البحرى طريقه مع عبدِ الله البرى إلى الشاطئ .

وعندما وصلا ، قال البحرى للبرى :

«الآن أودُّعُكَ يا صديقى إلى غيرِ لقاءٍ ، لأن نفسى لا تطمئنُ إلى صداقةٍ من يخشون لقاءَ الله عزَّ وجلَّ » .

ومع أن عبدَ الله البرى كان يعرفُ تمامًا أن لكلِّ شىءٍ نهايةً ، فقد شعرَ بالأسفِ لتلك النهايةِ غيرِ المتوقعةِ ، التى انتهت إليها صداقتهُ مع عبدِ الله البحرى .

كان يقولُ لنفسه فى استنكارٍ شديدٍ : « قد نختلفُ ، لكن لماذا تنتهى صداقتنا بسببِ هذا الاختلافِ ؟ »

\*\*\*

لكنه شكرَ الله ، لأن مغامرتهُ التى مرَّت كأنها حلمٌ مع الجنى المارد ، الذى كان يُوشِكُ أن يقتلهُ بسكينه ذاتِ يومٍ ، قد انتهت ، كالحلمِ أيضًا ، بأن اكتشفَ قدرةَ ابنته على مواجهةِ المواقفِ الجديدةِ بأفكارٍ جديدةٍ ، لا تخطر على عقلِ الكبارِ ولا على خيالهم . كما تعرَّفَ على كثيرٍ من أسرارِ عالمِ البحارِ المثيرِ العجيبِ . وفى النهايةِ أصبحَ مستشارًا للسلطانِ ، يعاونه فى الحكمِ بالعدلِ بينَ الناسِ .

تمت



## أنشطة حول القصة

\* نقترح عليك أن تشترك في أحد أو كل الأنشطة التالية :

- ١- اكتب وصفاً لشخصية سعدية الذكية ، الابنة الصغرى لعبد الله البرى .  
مبيناً رأيك في تصرفاتها وأفكارها .
- ٢- إذا وضعت نفسك موضع الصياد عبد الله البرى ، فهل كنت ستغامر بفتح  
الجرة للمرة الثانية ، أم كنت ستمتنع عن ذلك ؟ ولماذا ؟
- ٣- هل تتخيل أنه سيكون في استطاعة الإنسان ، في المستقبل ، أن يعيش تحت  
سطح الماء مثل الأسماك ؟ وكيف ؟
- ٤- تخيل أنك عشت شهراً في مدينة تحت الماء .. اكتب قصة حدثت في مثل  
تلك المدينة ، أو ارسم لوحة لبعض معالمها .
- ٥- القاع تحت ماء البحر ، حافل بالنباتات والأسماك و المخلوقات والصخور  
المرجانية والجبال والبراكين وآبار البترول وغيرها . اكتب قائمة بأسماء ما تعرفه من  
سكان ماء البحر ، أو ما تعرفه من مظاهر الطبيعة في قاع البحر ، مع وصف بعض  
ما تذكره ، ورسم البعض الآخر .
- ٦- ما رأيك في الخلاف الذى نشأ بين عبد الله البرى وعبد الله البحرى في  
نهاية القصة ؟ اكتب نهاية لهذا الخلاف تختلف عن النهاية التى وردت في القصة .
- ٧- في هذه القصة ، يختلط الواقع بما يمكن أن يحدث في الأحلام . هل  
تستطيع أن تستخلص ما يمكن أن يحدث في الواقع من بين أحداث هذه القصة ،  
خاصة ما نجده من ردود أفعال نفسية طبيعية لشخصيات القصة ، في مواجهة مختلف  
المواقف والأحداث ، حتى إذا كانت هذه الأحداث مستمدة من عالم الخيال ؟